



مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

الطلائع والعيون والجواسيس في بلاد المغرب الأدنى من الفتح العربي وحتى انتقال
الخلافة الفاطمية لمصر 22-365 هـ/642-1269م

Vanguards, Eyes and Spies in the Lower Maghreb since the Arab Conquest
until the Transfer of the Fatimid Caliphate to Egypt 22-365 AH/642-1269AD

د. بشير احمد طروم

أستاذ مشارك كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:

ISSN (print) 2522 - 6460

ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:

<https://jhs.sabu.edu.ly>

الطلائع والعيون والجواسيس في بلاد المغرب الأدنى من الفتح العربي وحتى انتقال الخلافة الفاطمية لمصر 22-365هـ/642-1269م

Vanguards, Eyes and Spies in the Lower Maghreb since the Arab Conquest until
the Transfer of the Fatimid Caliphate to Egypt 22-365 AH/642-1269AD

د.بشير احمد طروم

أستاذ مشارك كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة

ملخص:

يعتبر عمل الطلائع والعيون والجواسيس من بين أهم الطرق والأساليب المتبعة عند الأمم والمجتمعات والدول والممالك عبر تاريخ البشرية، وذلك لتتمكن من مواجهة الأعداء، ويعد دورها أساسيا في العمليات الحربية على وجه الخصوص، وقد مر تاريخ بلاد المغرب الأدنى الإسلامي بمراحل عدة شهد فيها تغيرات سياسة، ودارت على أرضه حروب ومعارك كثيرة، بدأ من مرحلة الفتوحات الإسلامية والتي استمرت إلى ما يقارب القرن من الزمن إلى عهد الولاة وما شهده من فتن وصراعات وثورات، وظهور مذاهب دينية مختلفة، ثم مرحلة الدول المستقلة. كل هذه المراحل كان للطلائع والعيون والجواسيس فيها دور أساسيا و متميزا، حاولنا في هذا البحث إبرازه وإلقاء الضوء على بعض النقاط المهمة فيه، وجمع أشتات المعلومات المتناثرة في ثنايا المصدر في دراسة مستقلة وخاصة به.

الكلمات المفتاحية: الجواسيس - التاريخ الإسلامي - الغرب الأدنى

Vanguards, Eyes and Spies in the Lower Maghreb since the Arab Conquest until the Transfer of the
Fatimid Caliphate to Egypt 22-365 AH/642-1269AD

Abstract:

The work of vanguards, eyes and spies is among the most important methods used by nations, societies, states and kingdoms throughout human history. Their role is essential in military operations and confront enemies. The history of the Islamic Near Maghreb has gone through several stages in which it witnessed political changes, wars and battle. These wars started from the stage of the Islamic conquests to the era of rulers, and the seditions which witnessed conflicts and revolutions and the emergence of different religions which was followed by the stage of independent states. During all these stages, the vanguards, eyes, and the spies had a fundamental and distinct role. This paper tried to highlight this role through collecting information from different sources.

Keywords: spies - Islamic history - the Near West

مقدمة:

تعد الطلائع والعيون والجواسيس من بين أهم الأجهزة السرية التي تم اعتمادها والالتجاء إليها من قبل كافة الأمم والمجتمعات والدول على مر التاريخ، وذلك لمواجهة خطر الأعداء أو لنشر دعوة أو تأسيس دولة أو كيان سياسي، تبث هذه الطرق والأجهزة للاستطلاع وجمع المعلومات والتعرف على طبيعة وعادات وتقاليد السكان، أو لزرع الشقاق والفتنة وتهيئة المجال للجهة التي أرسلتها.

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع للتعرف أكثر على طبيعة هذه الأجهزة ودورها في تاريخ منطقة المغرب الأدنى الإسلامي الوسيط في فترة مبكرة من تاريخه، والذي جعلنا نختاره كموضوع بحث

لأنه من المواضيع التي لم توف حقه في المصادر أو الدراسات الحديثة مع أهميته التاريخية، وقد قمنا باتباع المنهج السردى والتحليلي لبعض النقاط التي تحتاج لتحليل وشرح. وتم تقسيم هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين رئيسيين يهتم التمهيد بإعطاء فكرة عن مفهوم هذه الأجهزة وتعريفها لغويا واصطلاحيا، وتتبع تطور هذه الأجهزة تاريخيا أيضا. وقد خصص المبحث الأول للحديث عن دور هذه الأجهزة في مرحلة الفتوحات وحتى نهاية عصر الولاة.

وأما المبحث الثاني فسيكون عن دورها في عصر الدول المستقلة الأغالبة والفاطميين.

تمهيد:

أولا تعريف الطلائع والعيون والجواسيس:

لربما يستوي المفهوم أو المدلول في المصطلح والمعنى، بين الطلائع والعيون والجواسيس وذلك لأنهم يرتبطون مع بعضهم البعض في الوظيفة المناطة بهم.

فالطلائع قد تؤدي معنى قريب، وإن كانت مرتبطة بالتحركات العسكرية للجيش، أي أنها تأتي في مقدمة الجيش للاستطلاع، ومع ذلك نجد إشارة عن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في كتابه نهج البلاغة تفيد بأنها بنفس المعنى مع العيون، وذلك في قوله "واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون القوم طلائعهم فإن أنتما خرجتا من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع".⁽¹⁾

والجوسسة أو الجواسيس لا تختلف هي الأخرى كثيرا في المعنى، فالمعنى العام للثلاثة هو الرصد والمراقبة والإنذار.

1- الطلائع: مفردا طالعي من الفعل طلع وتطلع وهو من يطرق أمور القوم ويحرسهم لئلا يكونوا عرضة للعدو،⁽²⁾ والطلية هم من يبعث بهم لمطالعة خبر العدو وطلية الجيش نفر من الجيش يطلع على العدو.⁽³⁾

2- العين أو العيون: من النظر في أحوال العدو وتقديم المعلومات وجمع التقارير عن تحركات جيش العدو للقيادة حتى تضع خطتها العسكرية،⁽⁴⁾ والعين أيضا هو جاسوس القوم يطلع على عورات الناس وينهي الخبر الى دارهم⁽⁵⁾ أو يرسل لإفساد أمر ما يطلب من قبل القيادة

3- الجاسوس: من الجس ومنه الجاسوس الجسيس، جاء في القاموس المحيط الجس من اللمس باليد كالاجتساس، وموضعه المجسة وتخصص الأخبار لصاحب السر وجسه ينظره أحد النظر إليه،⁽⁶⁾ وجس الخبر أي تتبعه وبحث عن مصدره وتخصصه وقيل التجسس التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، أما بالحاء التحسس فهو ما أدركه الإنسان بحواسه ويستعمل في الخير،⁽⁷⁾ وقد ورد لفظ التجسس صراحة في القرآن الكريم في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم).⁽⁸⁾ وقد جاء هنا في معرض النهي

عنه، لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايهم التي سترها الله تعالى وبالتالي فهو يختلف عن موضوع التجسس الذي ترعاه السلطة لصالح جيوشها، ولمصلحة المسلمين في دار الحرب عند العدو.

والجاسوس إطلاقاً ورد على وزن فاعول يتفق كما أشرنا مع العين أو العيون وقد يسمى عينا لأنه وجب عليه النظر بعينه في جمع المعلومات وترتيب البيانات وإرسال التقارير السرية لقائده، لذا ذكرت كل المصادر الجاسوس مرادفاً للعين.

أما الطلائع، وإن اتفقت معهم كنوع من التجسس إلا أنها ربما تتخذ المظهر العلني أي تكون ظاهرة للعيان، يعلم بها العدو، كجرائد الخيل التي ترسل قبل بداية الحملة، أو العملية العسكرية، ومهمتها تأمين الطريق وجمع الغنائم للمعسكر، والنظر في مثالب وعورات العدو وأسهل الطرق المؤدية للاقتحام وأيضا التهديد بالقوة وهؤلاء فئة مهمة وضرورية للجيش تأتي في مقدمته لمعرفة خطط العدو ونواياه.⁽⁹⁾ يقول الإمام علي رضي الله عنه: "المقدمة عيون الجيش والطلائع عيون المقدمة".

وقد يدخل تحت مصطلح الاستطلاع السحر والتنجيم والكهانة في الحرب فقد يؤخذ برأي هؤلاء في الحرب، ولنا في التاريخ شواهد عدة، ففي عهد الدولة البابلية أخذ الملك "بلشصر" برأي الكهنة في هزيمته للملك الفارسي "كورش" الكبير حيث أقام حصاراً حول بابل سرا وأمر جنوده بدخول المدينة بدون قتال مستفيداً من مشورة الكهنة واتفاقيات السرية معهم فنجح في ذلك.⁽¹⁰⁾

وبالتالي فإن لفظة عين وطالعي وجاسوس لها عدة معانٍ مترادفة مع المصطلح رقيب وراصد ومنذر وصاحب الخبر والمتجسس والمتحسس.⁽¹¹⁾

ثانياً: العيون والطلائع والجواسيس تاريخياً

يذكر القلقشندي أن الإسكندر المقدوني هو أول من اتخذ الحصون من الجبل ككمان، وأول من اتخذ الجواسيس والعيون على العدو.⁽¹²⁾ إلا أن الشواهد التاريخية تؤكد أن هذه الأجهزة كانت معروفة في كل الحضارات وعند كل الشعوب.

فالقرطاجيون في تاريخهم المبكر استخدموا الجوسسة في حروبهم مع روما من أمثلة ذلك حاصر هانيبال جزيرة صقلية، ولما طال الحصار استخدم هانيبال عميلاً له كان أظهر مهارة في مهمة جوسسة سابقة ووضع معه خطة لدخول الجزيرة.

وقبله كان للفراعنة مراسلون يتمتعون بحماية عساكر ينتقلون في طول البلاد وعرضها، لجمع الضرائب وأيضاً جمع المعلومات عن الأقاليم وولاتها والشعوب التي تحت سلطانهم.

ويشير نقش صخري وجد في مدينة أسوان أن تمردا خطيرا اندلع في جنوب الإمبراطورية وأن شخصا ما أخبر جلاله الملك بذلك . وأن شعب كوش في جنوب السودان قد أعلن تمرده ، وأن أبناء مصر المقيمين في النوبة نقلوا مواشيهم إلى خلف الجدار الذي شيده أبوهم الفرعون خلال أحد حملاته للقضاء على المتمردين البائسين.(14)

وفي عهد رمسيس الثاني ولتعزيز سلطانه داخلها استعان رمسيس بعيون و آذان فهو ابن إله الشمس لا يجب أن يخفى عنه شيء سائده في ذلك الكهنة ويقال أن مصرفي عهده عرفت نوع من أنواع الشرطة السرية.(15)

وفي عهد الإمبراطورية الرومانية، تذكر المصادر أن روما وفي حريها المشهورة مع القرطاجيين قد استعملت الطلائع والعيون لمعرفة سير حملة هانيبال الذي كان يمتلك شبكة من الجواسيس، كانوا يرسلون إليه شخصيا تقارير دقيقة من داخل معسكرات الرومان، غير أن الرومان سرعان ما تعلموا منهم سياسة التمويه والتجسس واستطاع القائد الروماني المعروف بالإفريقي بعد شنه هجوما على قرطاجة الجديدة في أسبانيا من احتجاز رهائن استخدموا كجواسيس لصالح الرومان.(16)

وعرف العرب في العصر الجاهلي، أجهزة الجوسسة منذ عصر الإسكندر الذي أراد الاستيلاء على جزيرة العرب، وإرساله لحملة بحرية استطلاعية وصلت إلى خليج العقبة بقيادة القائد البحري أرتياس الاستطلاع المنطقة قبل وصول الحملة.(17)

وتورد المصادر بعض الحوادث الخاصة، بانتصار العرب على الفرس في معركة ذي قار، ودور قبيلة أياد التي انضمت سرا إلى بكر وكانت مع الفرس وأرسلت سرا عيونا لبكر تخيرهم إما الانضمام إليهم أو أنهم يتظاهرون بالحرب مع الفرس حتى إذا كانت الحرب انخذلوا عنهم، وكان اختيار بكر الحل الثاني وأن تمد أياد بكرا بمعلومات عن الفرس وقوتهم وسيرهم سرا.(18)

أما في عهد صدر الإسلام، فتشير المصادر إلى ان الرسول صلى الله عليه و سلم قد استخدم العيون قبل غزوهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني الرسول ﷺ والزبير والمقداد فقال (انطلقوا حتى تأتوا روضة ضاح بها ضغينة (أي المرأة الجالسة في الهودج) فقلنا أخرجي الكتاب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي عليه السلام فإذا فيه.(19)

من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي عليه السلام وكذلك بعث النبي عليه السلام العيون والطلائع لمعرفة أحوال أبي سفيان ومشركي مكة.(20)

كما اتخذ الخلفاء الراشدون عيونا وطلائع بثت في أرجاء الأمصار المفتوحة وفي أرض العدو لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عن رعايا المسلمين وولاتهم، وكذلك لمعرفة وتتبع أعداء الإسلام.

المبحث الأول: الطلائع والعيون والجواسيس في بلاد المغرب الأدنى من الفتح وحتى نهاية عصر الولاة 22-96هـ/642-715م

نلاحظ في هذا المبحث الدور المتميز للطلائع والعيون، الذي رافق أحداث الفتح الإسلامي للإقليم، فهذا الإقليم كان مجهولا من قبل قادة الفتح العربي لذا وجب عليهم التركيز والاعتماد على الطلائع والعيون لتسهيل مهمة الجيوش، وهو نهج اتخذه أول الفاتحين للإقليم القائد عمرو بن العاص ثم تبعه في ذلك جل القادة الفاتحين من بعده.

1. فتح إقليم برقة وطرابلس. (22)

تشير بعض المصادر إلى أن عمرو بن العاص وقبل أن يدخل لإقليم برقه وهو في مصر بعث القائد عقبة بن نافع الفهري لبرقة وإفريقية سنة 20هـ على رأس طليعة وهي رواية انفرد بها ابن عذاري المراكشي،⁽²²⁾ أي قبل فتح الإسكندرية، أراد أن يستطلع الإقليم قبل دخوله.

ويقول ابن أبي دينار أن عمرو بن العاص (لما فتح مدن مصر والإسكندرية بعث عقبة بن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورها من البلاد)،⁽²³⁾ وهي الرواية الأقرب للواقع ويبدو أن عقبة عاد بأخبار مشجعة لقائده، وذلك أنه وبمجرد أن فرغ ابن العاص منفتح الإسكندرية، ودون حتى استأذن من الخلافة توجهت الجيوش العربية صوب برقة، والتي كانت تسمى قديما أنطابلس فصالح أهلها على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار.⁽²⁴⁾ وبعد نجاح الحملة الاستطلاعية الأولى ومع نية القيادة في فتح إقليم طرابلس، نجد عمرو بن العاص يرسل حمله استطلاعية أخرى لإخضاع واستكشاف منطقة الواحات الداخلية التي كان يخشى أن يغير سكانها فجأة على تحركات الجيش وإفشال مشروع فتح طرابلس، ومن الملاحظ هنا أن الجيوش العربية الفاتحة قد استقادت بعد هذه الفتوح من خيارات جديدة سواء من مصر الإسكندرية على وجه الخصوص من أبناء البلاد المفتوحة (الأمازيغ) الذين كانوا على دراية بمجاهل الإقليم فكانوا عيوننا استخدمهم الفاتحون لهذا الغرض.

ويتضح دور الطلائع جليا عند محاصرة عمرو بن العاص لمدينة طرابلس لمدة شهر لايقدر منها على شي، إلى أن خرجت طليعة بقيادة رجل من بني مدلج في سبعة نفر واتجهوا غرب المدينة وكان البحر ملاصقا لسورها فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاص من ناحية المدينة ووجد مسلكا إليها من الموقع الذي غاص فيه البحر فتم فتح المدينة.⁽²⁶⁾ كما يتضح دور الطلائع في فتح إفريقية فبعد أن فتح عمرو كل مدن طرابلس، وأيقن أن الخطوة القادمة هي فتح إفريقية والتي أكدت الطلائع والعيون بتقاريرها أنها تحتاج إلى أعداد ضخمة فلم يكن أمام القيادة إلا مراسلة الخلافة (عمر بن الخطاب) وطلب الإذن والمدد إن أراد أن يفتح الله على يديه بلاد إفريقية، إلا أن الخليفة قد رفض ذلك وأرسل بالنهاي عن

الخوض في هذه المرحلة، يقول البلاذري أن خبر إفريقية كان قد وصل إلى عمر بن الخطاب،⁽²⁷⁾ وهو دليل آخر على دور العيون والجواسيس الذين كانت الخلافة ترسل بهم إلى كل الأقاليم حتى قبل أن تفتح.

2. دور الطلائع والعيون في ولاية عبدالله بن أبي سرج (27-38/645-655م)

في عهد الخليفة عثمان بن عفان جعل على بلاد المغرب أخاه من الرضاة عبدالله بن أبي السرح والذي عاود الاستئذان في فتح إفريقية، فتمت له الموافقة وجهز لذلك جيشا جرار، وقبل أن يشرع هذا القائد في دخول أرض إفريقية، كان يرسل الطلائع أو ما كانت تعرف بجرائد الخيل تجوب مناطق كثيرة من إفريقية، تصيب الغنائم للجيش،⁽²⁸⁾ وفي ذات الوقت تستطلع أخبار المنطقة وتعود بها إلى القيادة التي يدورها تكتب بها للخلافة والذي لاشك فيه أن ابن أبي سرج قد استفاد كثيرا من جرائد الخيل التي كانت ترسل زمن القائد الذي سبقه عمرو بن العاص وأيضا العيون المنتشرة بإفريقية من أهل البلاد والأمازيغ المسلمين وهو ما أوصله لوضع خطة استطاع بها قهر ملك البيزنطيين جرجير وجيوشه الذي كان سلطانه يمتد من طرابلس شرقا إلى طنجة غربا،⁽²⁹⁾ وفي المقابل كانت الخلافة هي الأخرى ترسل العيون على قادتها لمعرفة تحركاتهم ومراقبة تنفيذ أوامرها فبعد أن انقطعت أخبار حملة ابن أبي السرح عن الخليفة عثمان بن عفان بعث عبد الله بن الزبير في طليعة ليأتيه بالأخبار⁽³⁰⁾ ولمساندة الحملة أيضا، فمثل ابن الزبير دور العين، يقول النويري: فسار يجد حتى قدم على المسلمين فوصل ليلا فسروا به ووقع في العسكر ضجة قامت الروم منها وظنوا أنهم يحملون عليهم فباتوا شر ليلة، وأرسل ملكهم جاسوسا يستعلم الخبر، فأخبره أن النجدة وصلت المسلمين.⁽³¹⁾ ونجد في هذا النص إشارة واضحة إلى أن الجواسيس والعيون كانت تبث من كلا الطرفين.

3. دور الطلائع والعيون والجواسيس في ولاية معاوية بن حديج 45-50هـ/665-670م.

تم تكليف هذا القائد بعد عودة ابن أبي سرح إلى المشرق من سنة 38هـ إلى سنة 45هـ قام هذا القائد بعمليات استطلاعية كانت تجوب إفريقية ترصد الأوضاع إلى أن تم إرسال الحملة سنة 45هـ في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتشير المصادر أن الخليفة معاوية استمال مبعوث هرقل إلى حاكم قرطاجنة بإفريقية بعد أن طرده هذا الحاكم فسار إلى الشام، وعرض على الخليفة أن يكون عينا له على إفريقية وأن يرسل معه حملة يعيد بها فتح إفريقية فأرسلت الحملة وعلى رأسها معاوية بن حديج.

حاول هذا القائد منذ وصوله استطلاع الجزر البحرية لتأمين فتوحاته فأرسل حملة بحرية إلى صقلية يقول ابن عذاري: أغزى ابن حديج جيشا في البحر ومائتي مركب فسبوا وغنموا وأقاموا شهرا ثم انصرفوا إلى إفريقية بغنائم كثيرة.⁽³³⁾

ولعل ما يميز هذه الحملة أن ابن أبي حديج، فكر في تأسيس إقامة دائمة بإفريقية كقاعدة عسكرية لمواصلة الغزوات تتطرق منها العيون والطلائع إلى باقي أقاليم المغرب وتندر مركز القيادة في المشرق بأي تحركات برية أو بحرية ولذلك يعد ابن حديج أول من فكر في البناء وال عمران بإفريقية أراد بها أن تكون نواة لمصر جديد ينضاف إلى الكوفة والفسطاط في مرحلة ثانية.⁽³⁴⁾ ولم يكن اختيار ابن حديج لمكان القيروان أو قاعدته العسكرية اختيارا عشوائيا أو محض صدفة فهو نفس المكان الذي سيختاره أبو المهاجر وعقبة بن نافع فيما بعد، فهو مكان استراتيجي بعيد عن المدن الساحلية وعيون البيزنطيين، يمكن تأمينه من قبل الجنود المقيمة فيه.

4. الطلائع والعيون والجواسيس في حملة عقبة بن نافع الفهري (50-55هـ)

يعد هذا القائد من أكثر القادة الذين لهم دراية بمسالك المغرب الأدنى، لأنه سبق وأن اجتاز الإقليم إلى واحاته الداخلية وعرف المسالك الآمنة فيه، لذلك نجده في هذه الحملة يتخذ طريقا داخليا بعيدا عن جادة الساحل، دافعه في ذلك البعد عن المدن والساحلية لكثرة الحصون والمخارص بها وأيضا للابتعاد عن العيون والجواسيس المتمركزين على الطريق الساحلي.⁽³⁵⁾

ويذكر أن عقبة عندما سار إلى إفريقية أخذ معه من أسلم من أمازيغ المناطق المفتوحة كعيون فضلا عن جيشه المكون من عشرة آلاف مقاتل سار عقبة في واحات قسطيلية والجريد إلى أن وصل بلاد قمونية حيث معسكر ابن حديج ، وأرسل طلائعه وسراياه للحصون والقصور المجاورة فافتتحها، " ووضع السيف حتى أفنى من بها من نصارى"⁽³⁷⁾ تقطن عقبة إلى نفس النقطة التي تقطن إليها ابن حديج، وهي إقامة معسكر دائم ومستقر للجيش العربية بالإقليم ورأى أن معسكر ابن حديج لا يليق بهذا العدد القادم من الشرق وكذلك من احتواء من أسلم من البلاد ، فقرر بناء مدينة القيروان سنة 50هـ، واستقر بنفس المكان الذي اختاره ابن حديج لملاءمته الظروف المناخية ولنفس الأسباب سالفة الذكر.

5. العيون والطلائع والجواسيس في ولاية أبي المهاجر دينار (55-62هـ/674-681م)

عندما استلم مسلمة بن مخلد ولاية مصر والمغرب عزل عقبة بن نافع عن إفريقية واستعمل بدلا منه مولاة دينار، والذي كان يعرف بأبي المهاجر، والذي تختلف سياسته عن سياسة عقبة بن نافع في إدارة الفتوحات، حيث بنى سياسته على ملاطفة البربر واستمالة الأعداء سلما، فكان أول ما قام به أن جعل كسيلة بن لمزم أهم شيوخ البربر آنذاك عينا له على الروم وتحركاتهم، كما استقاد أيضا من معلومات وتقارير أمده بها عيون من البربر دخلوا الإسلام بعد فتح سببلة سنة 27هـ" فبعثوا بالأخبار لأبي المهاجر فانتصر على الروم وعلى جيش البربر حول تلمسان".⁽³⁸⁾

6. دورهم في حملة عقبة الثانية (63-64هـ/681-683م)

يتضح دور هذه العيون في هذه الحملة التي وصل فيها عقبة إلى شواطئ المحيط الأطلسي معتمدا على شبكة من العيون والطلائع، ويقال إنه في هذه الحملة استفاد من عين أو جاسوس رومي اسمه إيليان، حيث أمدهم بمعلومات عن الروم وقواتهم وقوات البربر عندما سأله عن بحر الأندلس فقال " إنه محفوظ لا يرام " فقال " دلني على رجال البربر والروم " فقال " قد تركت الروم خلفك وليس أمامك إلا البربر وفرسانهم في عدد لا يعلمه إلا الله وهم أنجاد البربر وفرسانهم فقال عقبة وأين موقعهم؟ فقال في السوس الأدنى واستطاع عقبة من خلال مثل هذه المعلومات أن يدخل بلاد السوس الأدنى، غير أن المعاملة السيئة التي عامل بها عقبة بن نافع زعيم البربر كسيلة وإهانته أمام أبناء قبيلته، قلب هذا الزعيم من مناصر لجيوش الفتح إلى جاسوس وعين للروم على العرب ففي فترة أسره كان كسيلة يوافي حلفاءه من البربر والروم ويراسلهم بالمعلومات إلى أن استطاع الفرار وتقلد زعامة جيش البربر واستطاع القضاء على عقبة وقتله قرب تهودة.⁽⁴⁰⁾

7. الطلائع والعيون والجواسيس في ولاية زهير بن قيس البلوي 69-71هـ/688-689م

يلاحظ في هذه الحملة بروز دور أبناء الأراضي المفتوحة في قوة الجيش الفاتح وفي تنظيمه، حيث تذكر المصادر أن زهيراً " اعتد هو من ومعه وكانوا ستة آلاف ألفان من البربر وأربعة آلاف من العرب،⁽⁴¹⁾ زرع زهير عيونه في كل مكان واستخدم دهائه في ضرب تحالف البيزنطيين مع البربر، فلما رأى أن جمعهم وافق عيد الأضحى أرسل عيناً للروم وقال لهم "إنا وإياكم أهل كتاب وقد حضرنا يوم نعظمه، فأخروا حربنا حتى ينقضي العيد فأجابوه إلى ذلك"،⁽⁴²⁾ ولما انقضى العيد زحف زهير بمن معه إلى كسيلة، بعد أن وصلت أخباره إلى المعسكر من عيونبقايا المسلمين بالقيروان ومن أبناء البربر الناقمين على كسيلة المرتد فالتقى زهير بكسيلة قرب القيروان وتم هزيمته وقتله، وأرسل زهير عيوناً إلى الخلافة لطلب المدد.⁽⁴³⁾ وعند عودة زهير إلى المشرق وصلت أخبار عيون وجواسيس الروم إليهم بأن برقة خالية " فاغتموا خلوها فخرجوا إليها في مراكب وقوة بحرية من صقلية ونزلوا ببرقة يشنون على أهلها الغارات فأصابوا سبياً كبيراً من المسلمين وأقلعوا وتركوا عيوناً في البحر يرصدون المدد الذي يأتي لنجدة أهل برقة، وافقت هذه الغارات وصول زهير من إفريقية عائداً إلى المشرق فأتاه جواسيس وأخبروه ما حل ببرقة فبعث بجيشه إلى طريق الداخل وانطلق هو وسرية صغيرة بالطريق الساحلي فالتقى الروم الذين كانوا في خلق عظيم فقاتل الروم حتى استشهد هو ومن معه.⁽⁴⁵⁾

وصل خبر النكبة لجيش زهير عن طريق رجل من مذحج " كان بألمس من برية أنطابلس رجل من مذحج يقال له عطية بن يربوع خرج بابن له هاربا من الوباء وكان في تلك البرية جماعة من المسلمين فاستغاثهم وركب فيمن حوله من الناس فاجتمع له سبعمائة رجل فزحف بهم إلى الروم فقاتلهم فهزمهم". (46)

9. دور العيون والجواسيس في ولاية حسان بن النعمان الغساني (73-85هـ/697-704م)

تعد هذه الحملة بداية النهاية لسلسلة الفتوحات التي تجاوزت النصف قرن وتجدر الإشارة إلى أن حسان قد تقطن إلى الدور الكبير للعيون والطلائع فبمجرد أن وصل إلى طرابلس " اجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وطرابلس فوجه على مقدمته محمد بن أبي بكر وهلال بن ثروان اللواتي ففتح البلاد وأصاب مغنم كثيرة". (47)

في هذا النص إشارة واضحة لدور العيون من أهل البلاد المفتوحة، فهم أدري بما يجري في الإقليم ومجاهله وعوراته، لذلك نجد حسان جعلهم في مقدمة جيشه كما وأن هذا النص يشير صراحة إلى أول ذكر لقائد أمازيغي في صفوف الجيش العربي، وربما ذلك راجع أيضا لدرايته وخبرته بالإقليم، زد على ذلك أن أصوله اللواتية تذكرنا بما عرف عن هذه القبيلة من مساندة للفتح وعدم مقاومته عند أول فتح لبلاد المغرب ببرقة. (48)

وصل حسان إلى قرطاجنة فافتتحها، وانصرف عنها وهنا لعبت عيون وجواسيس الروم والعرب دورا بارزا، إذ أبلغ عيون الروم في السواحل قواتهم أن حسان قد انصرف عن المدينة فعادوا إليها مسرعين، وفي ذات الوقت أرسلت عيون حسان الخبر إليه فعاد هو الآخر مسرعا والتقاهاهم وقاتلهم حتى هزمهم ورجع إلى القيروان، (49) وعند وصوله القيروان اجتمع بالطلائع والعيون وخاطبهم قائلا " دلوني على أعظم من بقي من بقي من ملوك إفريقية فدلوه على امرأة تحكم البربر تعرف بالكاهنة"، (50) وقالوا: " إن قتلها لم تختلف البربر بعدها عليك، (51) علمت الكاهنة هي الأخرى ومن خلال عيونها وجواسيسها بتحركات القائد حسان وحاولت أن تتعد عن المركز القيروان وجمعت حولها كتلات كبيرة من الأمازيغ، ووحدت بعض القبائل المتفرقة فكانت المواجهة بينها وبين جيش حسان، فانتصرت انتصارا ساحقا كاد ينهي الوجود العربي بإفريقية وأسرت ثمانين رجلا من رجال حسان من بينهم خالد بن يزيد القيسي، وهو من سيلعب دور الجاسوس أو العين ولصالح الجيش العربي فيما بعد، ردت الكاهنة أغلب الأسرى وأبقت على خالد الذي تبنته كأخ لابنيها.

تهيأت لحسان أكثر من وسيلة لإحراز النصر على الكاهنة وأحلافها فبعد الخطوة التي أقدمت عليها الكاهنة وهي حرق وتدمير مزارع إفريقية حتى لا يطمع فيها العرب تضرر من ذلك المزارعون والملاك، ويذكر أن حسان التقاه في الطريق ثلاثمائة رجل من النصارى يستغيثون به من أمر الكاهنة فسره ذلك واستغله لصالحه أي أنه أمن المدن التي ستكون خلفه للتحالف مع الكاهنة وأنهم سيكونون عيوننا له في هذه الحملة، كما دعم جيشه بأعداد جديدة انضمت إليه من أهل البلاد المتضررين، وفي المقابل ظلت كتب خالد بن يزيد القيسي تصل إليه بتحركات الكاهنة وترتيباتها العسكرية إلى أن صار أمر الكاهنة هينا على حسان وقضى عليها وبعث برأسها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 81هـ/700م.⁽⁵³⁾

10. العيون والجواسيس في ولاية موسى بن نصير 85-86هـ/704-705م

بداية من تولي هذا القائد، انفصلت بلاد إفريقية " المغرب الأدنى " عن ولاية مصر وأصبحت قائمة بذاتها يقول الرقيق القيرواني " وقطع الوليد إفريقية عمر بن عبد العزيز فقدمها موسى فوجد أكثر مدنها خالية "،⁽⁵⁴⁾ ويفهم من هذا النص أن موسى قام بتنظيم وإعادة توزيع السكان على المدن فكان " ينقل العجم من الأفاصي إلى الأداني"،⁽⁵⁵⁾ كما اتبع سياسة مرنة فيمن أسلم من البربر حتى يأمن عمل الولاية وعدم الانتفاض عليه، وقام بتولية مولاة طارق بن زياد على إقليم المغرب الأقصى، واعتمد موسى على شبكة من العيون، وكانت له سرايا استطلاع كتلك التي بعث بها إلى قلعة زغوان والتي كان أهلها يغيرون على المسلمين فأرسل عبد الملك الخشني في سرية بحوالي خمسمائة فارس وفتحها وقطع دابرههم.⁽⁵⁶⁾

ويقول ابن قتيبة الدينوري إن الجواسيس أتوا موسى فقالوا : إن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وإن إبلهم تنتج ولا يستطيعون براحا، فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ومن قبائل البربر ... فقتلهم قتل الفناء ثم انصرف إلى القيروان.⁽⁵⁷⁾

ولعل محنة موسى بن نصير مع الخلافة ، كانت بسبب وشاية أحد العيون للخليفة عبد الملك، وهو عيسى بن عبد الله الطويل حيث قال للخليفة " يا أمير المؤمنين إن الله قد أغناك بالحلال عن الحرام وأتى صاحب هذا المقاسم وإن موسى لم يخرج خمسا من جميع ما أتاك به".⁽⁵⁸⁾ الأمر الذي استشاط منه عبد الملك غضبا وسخطا على ابن النصير فغرمه ثلاثمائة ألف وأمر بتعذيبه، وكان عازما على قتله لولا تدخل يزيد بن المهلب الذي استجار به موسى بن نصير .

المبحث الثاني: العيون والطلائع والجواسيس من عهد الولاية إلى انتقال الخلافة الفاطمية لمصر (96-365هـ/714-1269م)

أولاً: في عهد الولاية (96-184هـ/714-800م)

تبتدى هذه المرحلة إثر استقرار الفتوح في بلاد المغرب عامة وفي المغرب الأدنى على وجه الخصوص، وإن كان بعض الباحثين يرى أنها تبتدى مع نهاية حملة حسان بن النعمان سنة 85هـ، وآخرون يرون أنها تبتدى بقدوم موسى بن النصير للمنطقة، غير أن البداية الحقيقية لهذا العصر والتي يتفق عليها كثير من الباحثين هي المرحلة التي بدأت فيها الخلافة بإرسال ولاية مدنيين سياسيين أكثر منهم قادة عسكريين أي بعد انتهاء الحملات العسكرية الفاتحة للإقليم.

مثلت القيروان في هذه المرحلة عاصمة الإقليم كافة وكان مقر الوالي بدار الإمارة،⁽⁵⁹⁾ تتأوب على ولاية هذا الإقليم بداية من أول وال يرسل سنة 96هـ/715م إلى قيام الدول المستقلة اثنان وعشرون والياً تختلف وتتباين خلفياتهم الاجتماعية والعرقية منهم ستة من الموالي.

ولعل ما يميز هذا العصر هو ظهور العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية وأيضاً بين العرب البلديين أي أبناء إفريقية والقادمين الجدد من المشرق، إذ يرى العرب الإفريقيين أنهم أحق بمن يرسلون من المشرق فظهرت انتفاضات الجند وأبناء الجند على هؤلاء الولاية وكان أيضاً للسياسة التي اتبعها بعض الولاية سواء في العصر الأموي أو العباسي ضد البربر، وهي سياسة تعسفية، دفعت بهؤلاء إلى انتفاضات كبرى كان لها أثر كبير وكادت أن تنهي الوجود العربي في الإقليم، كما سمحت بظهور مذاهب خارجية تبناها أهل البلاد، تعبيراً عن سخطهم على الولاية وسياساتهم، كل هذه الأوضاع كانت تستوجب استخدام شبكة من العيون والجواسيس ولدى كل الأطراف لدعمها. وسنكتفي هنا بذكر بعض الحوادث في هذا العصر والتي كان فيها للعيون والجواسيس دور واضح ففي ولاية أول ولاية بني أمية محمد بن يزيد القرشي (96-100هـ/715-718م) أرسل هذا الوالي ليكون عيناً لخلافة وللملاحقة وتتبع آل النصير ومن التبس بهم من موالي وعبيد، فلم تكن له إنجازات مهمة تذكر، غير تعقب هؤلاء وبث العيون والجواسيس في كامل المغرب لاجتثاثهم بل تعدى ذلك إلى بلاد الأندلس لتنفيذاً لأمر الخليفة بأن " يأخذ آل موسى وكل من التبس بهم حتى يوفوا ثلاثة ألف دينار ولا يرفع عنهم العذاب ".⁽⁶⁰⁾

ولنا أن نقول إنه ومنذ استقرار الفتوح في عصر الولاية، بدأت بعض المؤسسات الإدارية في الظهور ومن أهمها ديوان الرسائل الذي كان له دور الرقابة على سلطة الولاية، كما وأن إمارة إفريقية كانت إمارة عامة أي تختص بالشؤون المدنية والعسكرية وبخاصة في عهد الوالي إسماعيل بن عبد الله (100-102/720-722م) الذي عين في ولايته على حربها وخراجها وصدقاتها ولاية عامة.⁽⁶¹⁾

وكان الوالي يعين من قبل الخلافة بعهد أو كتاب مكتوب يؤكد حقه في الولاية والتصرف يأتي هذا العهد أو الكتاب مع البريد، ويرسل مع عين الخليفة لتفقد حال الولاية والتحري عن أوضاعها وخاصة المالية منها.⁽⁶²⁾

وتشير المصادر إلى حالة واحدة كتب فيها العهد سرا في خلافة هارون الرشيد إلى نصر بن حبيب المهلبى بعثت مع عيون الخلافة وظل الموضوع في السر إلى وفاة روح بن حاتم الذي طعن في السن ولم يعد قادرا على إدارة الإمارة.⁽⁶³⁾

وكان دور العيون والجواسيس إمداد الخلافة بمعلومات عن أوضاع الولاية والولاء، ويتم تثبيت أو عزل الوالي بناء على تقاريرهم التي ترسل عبر البريد، كما حدث عندما تم عزل ابن العكي الذي ساءت سيرته في الولاية،⁽⁶⁴⁾ ومع محاولته دس كتب ملفقة ضد إبراهيم بن الأغلب عامل الزاب آنذاك إلا أن عيون الخلافة كانت تقاريرها وكتبها هي الأوثق.

لقد حاولت الخلافة ولتثبيت سيادتها على بلاد المغرب الأدنى، أن تتخذ سياسة العزل والمحاسبة والتغريم، تبادل تعين الولاة بين القيسية واليمينية لتجد نوعا من التوازن، وكذلك بثت عيونها في كامل الإقليم وعينت الموثوق بهم لتقلد رئاسة ديوان الرسائل، حتى تحارب الانفراد بالولاية والاستقلال عن جسم الخلافة فكان ديوان الرسائل بمثابة المخابرات السياسية للخلافة بالولايات والأمصار،⁽⁶⁵⁾ وذهبت بعض المصادر إلى اتهام بعض الولاة بالجوسسة للعدو، حيث اتهم صراحة الوالي محمد بن مقاتل العكي بأن له علاقة مشبوهة مع البيزنطيين وأنه كان " يلاطف البيزنطيين وأرسل إليهم النحاس والسلاح والهدايا الثمينة"⁽⁶⁶⁾ لتثبيت ولايته بعد كتاب العزل الذي أتاه من الخلافة.

وقصارى القول: كان عهد الولاة كغيره من العهود يعتمد على شبكة من العيون والجواسيس، سواء من طرف الولاة أو من طرف الخلافة، وخاصة أن أغلب فترات هذا العهد قد اتسمت بالانتقاضات والقلقل السياسية.

ثانيا العيون والطلائع والجواسيس في عهد الدول المستقلة (184-365م/800-1269م)

انتهى عصر الولاة تاركا أثارا سيئة في نفوس المغاربة سواء من الأمازيغ أو حتى من العرب البلديين نتيجة للسياسة التعسفية التي مارسها أغلب الولاة على سكان الإقليم، وإرهابهم بالجبايات والمغارم، الأمر الذي شجع على تكوين إمارات مستقلة أو شبه مستقلة بالإقليم وظهور مذاهب مختلفة به، وقد لعبت العيون والجواسيس دورا كبيرا في جل السياسية من قيام هذه الدول إلى مرحلة سقوطها أو انتقالها إلى مكان آخر.

1- دور العيون والجواسيس في عهد الدولة الأغلبية 184-296هـ

تشير المصادر إلى أن تعين الوالي إبراهيم بن الأغلب تم في عهد الرشيد بعد صراع مع الوالي السابق محمد بن مقاتل العكي، وسبق وأن أشرنا إلى أن العيون لعبت دورا متميزا في إطلاع الخلافة على حقيقة الوضع والصراع في الإقليم، وبالتالي تأييد الخليفة لابن الأغلب وإرسال عهد الإمارة إليه، كما لعب صاحب البريد آنذاك " يحيى بن زياد " دورا مهما في إرسال المعلومات مع العيون مصحوبة بتقرير كفاءة إبراهيم السياسية والحربية.⁽⁶⁷⁾

وما إن تم لابن الأغلب الوصول إلى كرسي الإمارة حتى نجده يستبدل عناصر جديدة لحمايته وحماية دار الإمارة بدل العرب من الأمازيغ والصقالبة والسودان، حتى وصل عدد هؤلاء إلى عشرة آلاف عبد،⁽⁶⁸⁾ اتخذهم كحرس خاص وعيون وجواسيس له.

لقد حاول هذا الأمير ومنذ توليه الإمارة أن يحصن إمارته من الداخل والخارج وكسب رضا الخلافة، فكان يقدم المعلومات والمساعدات اللازمة لدار الخلافة ومساعدتها في التخلص من الأعداء والمنشقين عن الخلافة، فنجده يدس أحد عيونه لاغتيال الأمير إدريس بن عبد الله أمير دولة الأدارسة بناء على مراسلة الخلافة له فأرسل جاسوسا اسمه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ لاغتيال الأمير وقد نجح هذا الجاسوس واستطاع كسب ثقة الأمير واستحوذ على حبه فاتخذة خليلا له إلى أن انتهر الفرصة فدس السم وقتله،⁽⁶⁹⁾ ثم دس عينا آخر في دولة الأدارسة لاغتيال الوصي على إدريس الأصغر وهو راشد الوصي واستطاع هذا العين أيضا التخلص منه، عندما علم أنه عازم على غزو إفريقية انتقاما لاغتيال إدريس الأول.

بعث بن الأغلب كتابا مع أحد عيونه إلى دار الخلافة يؤكد مكيدته لراشد الوصي وبعث مع الكتاب هذه الأبيات:

ألم ترني أرديت بالكيد راشدا ***** وإني بأخري لابن إدريس راصد

تناولته عزمي على بعد داره ***** بختومة يحظى بها من يكابد

قفاه أخو عك يمهلك راشد ***** وقد كنت فيها شاهدا وهو راقدا⁽⁷⁰⁾

واستطاع ابن الأغلب أيضا عند تولي إدريس الثاني للإمارة الإدريسية أن يدس عيونا تغري بهلول بن عبد الواحد المدغري وزير إدريس وأن يبذل له الأموال ليحمله يترك طاعة إدريس إلى طاعة هارون، فكانت كتب العيون تصل إلى الطرفين، إلى أن تمكن ابن الأغلب من إقناعه وكسبه لجانبه، وهو ما جعل

إدريس الثاني يكتب لابن الأغلب يستعطفه ويذكره بقرابته لرسول الله - ﷺ - ويرجوه الكف عنه وعدم تدبير المكائد والدسائس. (71)

كما استطاع ابن الأغلب أيضا أن يجعل من إسحاق بن محمد الأوربي الذي كان له دور كبير في قيام الدولة الإدريسية، أن يجعل منه جاسوسا، واستماله إليه فتواطأ إسحاق مع ابن الأغلب وبدأ في التآمر على إدريس الثاني إلى أن تم كشفه وقتله. (72) وظل دس المكائد والجواسيس والعيون من قبل الأغلبية للأدراسة مستمرا إلى أن استطاع زيادة الله الأول ابن إبراهيم الأغلب أن يدس جاسوسا يقتل إدريس الثاني مسموما بحبة عنب غص بها فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات. (73)

كما تمكن الأغلبية أيضا ولترسيخ إمارتهم وتثبيت أركانها أن يدسوا العيون والجواسيس في إمارة تاهرت الرستمية، ويذكر الباروني أن شخصا يدعى خلف الخادم مولى لبني الأغلب، استطاع عن طريق بذل المال وإثارة الشقاق بين سكان تاهرت حتى انقسموا إلى معسكرين (الإمام وأنصاره من العجم والنفوسيين في جانب، والجند العرب في الجانب الآخر). (74)

وعند تولي زيادة الله الأول الإمارة، قرر فتح جزيرة صقلية وعرض عليه تائر نصراني في الجزيرة اسمه "فيمي المساعدة، إذا جعله فيما بعد حاكما لصقلية، وعلى أن يعطي الجزيرة للأغلبية، وأن يكون عينا لهم ودليلا يقدم التقارير عن الوضع في الجزيرة وعونا عسكريا للمشاركة في فتح الجزيرة، (75) الأمر الذي جعل زيادة الله يعقد مجلس شورى مع علماء إفريقية وفقهاء القيروان وعلى رأسهم القاضي أسد بن الفرات والقاضي أبو محرز حيث رأى البعض أن ترسل العيون لجمع المعلومات أكثر عن صقلية، وعدم نقض المعاهدة مع حاكم صقلية، بينما رأى الآخرون أن يتم الاتفاق مع فيمي ولكن دون المشاركة العسكرية والاكتفاء بالإدلاء بالمعلومات والتقارير عن الوضع في الجزيرة، (76) وفي الأندلس أيضا حاول الأغلبية بث العيون، ومناصرة الثائرين وتبادل الكتب معهم، ومن ذلك الاتصال بالثائر عمر بن حفص ومراسلته ووعد الأمير بن الأغلب له بالتوسط لدى الخلافة لتعترف به حاكما شرعيا على الأندلس. (77)

أما في الداخل فقد قامت ثورات عدة على الأغلبية في طرابلس وتونس وداخل القيروان نفسها، استطاع أمراء الأغلبية التغلب عليها ودس العيون في كل الولايات واستحدث الأغلبية بعض الأجهزة الأمنية والسرية التي ستساعدهم في بسط الأمن ومن هذه الأجهزة، الحشاد: وهو جهاز خاص بالمدن وبخاصة العاصمة، أغلبهم من السودان والصقالية مهتمين بتحشيد الناس إلى حضرة الوالي أو الإمام وخاصة عندما تكون الثروات والفتن "حشدي حاشد السودان إلرقادة فبذل أهل البلد للحاشد دينارين ليتركني فأبى بكل حيلة، فأخذني ومضى بي إلرقادة"، (78) وهو من الأجهزة السرية التي تتبع الأمير مباشرة.

المرابدة: يتبع هذا الجهاز خطة الشرطة وهم أفراد من العيون يوجدون بالمرابدة على الطرق المؤدية إلى الولايات والأمصار أو في استراحات طرق القوافل كمراقبين يرصدون الأخبار إلى الجهات المختصة لتدخل، تطور هذا الجهاز في العهد الفاطمي، وأصبحت له سجلات خاصة وهو الآخر كان يناط بالعييد السودان والصقالبة.⁽⁷⁹⁾

2- العيون والطلائع والجواسيس في عهد الدولة الفاطمية 296-365هـ

تجدر الإشارة هنا أن بعض الرحالة والجغرافيين القدماء كانوا يمتنون مهنة الجوسسة لصالح مراكز السلطة ويكلفون بمهام استخباراتية، يقول جورج مارسيه (إن اليعقوبي الذي زار معظم بلاد الإسلام، وأقام في العديد منها وقام بتحريرات عن السكان، وعن المنافع العائدة من هذه البلاد، وذلك إما فضولا منه وإشباع هذا الفضول، أو للقيام بمهام رسمية منوطة به.⁽⁸⁰⁾

كما اتهم أحد الباحثين⁽⁸¹⁾ الجغرافي الشهير ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض بالجوسسة لصالح الفاطميين عند زيارته لبلاد الأندلس سنة 337هـ/948م وأنه تنكر في هيئة تاجر ورحالة، ودليله على ذلك وصف ابن حوقل لضعف رجال الأندلس ونصوصه التي يخاطب فيها أئمة الفاطميين: وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعيمها ولذاتها.⁽⁸²⁾

أما فيما يخص الدولة الفاطمية ونشأتها في المغرب، فقد اعتمدت منذ أساس قيامها على العامل السري الاستخباراتي منذ مرحلة الدعوة حيث استخدم الداعي أبو عبد الله الشيعي دهاء كبيرا وادعى التنبؤ والسحر والتبشير بظهور المهدي وأحقيته في الخلافة وأذهل عقول البسطاء بالسحر والطلاسم وبالتالي قبول فكرته ودعوته.⁽⁸³⁾

وعند استيلائهم على إفريقية، وبالرغم من استنجاد الأمير زياد الله الثالث الأغلي بالخلافة، لإمداده بقوة عسكرية، إلا أن الخلافة اكتفت بإرسال العيون لتحرير سكان الإقليم وحثهم على الاستبسال في حرب الشيعة،⁽⁸⁴⁾ وبعد سيطرة الفاطميين التامة على الإقليم بدأت مؤسساتهم الاستخباراتية تعمل على كل الأصعدة، فأرسلوا إلى الأندلس مجموعة من الجواسيس منهم أبو اليسر الشيباني، وأبو جعفر بن هارون البغدادي، والرحالة ابن حوقل، كما استطاعوا استمالة جواسيس من الأندلس نفسها مثل الشاعر ابن هاني الأندلسي الذي التحق فيما بعد بخدمة الخليفة المعز بدين الله الفاطمي،⁽⁸⁵⁾ وفي المقابل أرسل حكام الأندلس جواسيسهم داخل مدن إفريقية واستفادوا من عيون الجاليات السنية التي تقيم في بعض مدن الإقليم.⁽⁸⁶⁾ ومن الأجهزة الأمنية السرية التي استخدمها الفاطميون، فضلا عن جهاز المرابدة السالف الذكر جهاز الدوارة وهم فئة تابعة للشرطة وللحاكم مباشرة تقوم بدوريات خاطفة، وبوضع حواجز أمنية للمراقبة قصد التفتيش والقبض على المشتبه بهم، وخاصة الذين ظاهروا بمعارضتهم للمذهب الشيعي.⁽⁸⁷⁾

وخلص القول، فإن الطلائع والعيون والجواسيس كانت وعبر التاريخ الإنساني من الأجهزة أو من الوسائل التي يعتمد عليها، في توفير المعلومات وتأمين الطرق للسلطان، ولا يتسنى للدولة تحقيق التخطيط السليم والمبني على معرفة بحقيقة العدو في الخارج ومن يسانده بالداخل دون اللجوء إلى هذه الأساليب أو الأجهزة.

ومنطقة المغرب الأدنى شهد تاريخها الإسلامي الوسيط أحداثا وتقلبات سياسية منذ مرحلة مبكرة أي منذ عملية الفتح، وقد لعبت الطلائع والعيون دورا بارزا ومهما في مجريات تلك الأحداث وهو ما حاولنا تسليط الضوء عليه في هذا البحث.

الهوامش:

1. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، قم إيران: منشورات آية الله العظمى المرعشي، 1965، ج3، ص192.
2. ابن منظور، جمال الدين لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، القاهرة: دار المعارف، ص218.
3. نفس المصدر، ج8، ص237.
4. صباح خاطب، عبد العزيز، علي سلامة فرعل " نشاط العيون والطلائع في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة " مجلة دراسات التاريخ والآثار، بغداد، ع55، ص2016، ص4.
5. الزليعي، عز الدين عثمان بن علي، حاشية شهاب الدين على شرح الكنز الكبير، بيروت: دار المعرفة، 1995، ج2، ص268.
6. الفيروزبادي، مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، تعليق أبو الوفا نصر الهوريني، راجعه واعتنى به أنس محمد الشاب، زكريا جابر أحمد، القاهرة: 2008، ص269.
7. محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، (د.م)، دار السلام 1985، ص25.
8. سورة الحجرات الآية 12.
9. ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ص192.
10. خالد محمد الجبوري، الاستطلاع ودوره في التاريخ العربي، تقديم حسن أمين، عمان: الأكاديمية للنشر والتوزيع، 2012، ص32.
11. خاطب، " نشاط العيون " ص510.
12. القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922، ج1، ص429.
13. صلاح نصر، الحرب الخفية فلسفة الجوسسة ومقاومتها، (د.م)، الوطن العربي للنشر، 1962، ص75.
14. وولفغانغ كريغر، تاريخ المخابرات من الفراعنة حتى وكالة الأمن القومي الأمريكية، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2010، ص32.
15. نفس المرجع، ص33.
16. نفس المرجع، ص42-47.

17. جواد العلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، بغداد: منشورات جامعة بغداد، 1993، ج2، ص6-7.
18. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، (د. ت)، ص285.
19. العباسي الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الدول، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، 1989، ص178.
20. نفس المصدر، ص178.
21. صباح خاطب، نشاط العيون...، ص510.
22. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في بيان أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، ليفي بروفنسان، بيروت: دار الثقافة، 1983، ج1، ص8.
23. ابن أبي دينار، محمد ابن أبي القاسم، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس: المطبعة الدولية، 1286، ص22 - 23.
24. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص8.
25. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية (د. ت)، ص57.
26. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، حققه وقدم له علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1995، ص230-231.
27. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان تقديم إبراهيم بيضون، شرحه وعلق عليه عبد الأمير مهنا، بيروت: دار اقرأ، 1992 ص 316
28. ابن عذارى، البيان....، ج1، ص9.
29. المالكي رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ج1، ص19.
30. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، غاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد الحميد ترجيني، بيروت دار الكتب العلمية، (د. ت)، ج 24، ص6.
31. نفس المصدر، ج 24، ص6.
32. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 2001، ج2، ص465-466.
33. ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص17.
34. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص 86
35. موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1982، ص29.
36. ابن الأثير، الكامل...، ج3، ص63.
37. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية: منشورات كلية الآداب، (د. ت)، ص113.
38. محمد بن ناصر بن الملحم، موقف كسيلة بن لمزم من الفتح الإسلامي للمغرب، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، مج1، ع1، مارس 2000، ص123.

39. النويري، مصدر سابق، ج 24، ص14.
40. هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، بيروت: دار الطليعة، 2004، ص26.
41. الدباغ، أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي، تحقيق محمد بن حمدي أبو النور، محمد ماطور، القاهرة مكتبة الخانجي، (د. ت)، ج1، ص56.
42. المالكي، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 46
43. ابن عذارى، البيان ... ، ج 1، ص 46.
44. ابن الأثير، الكامل، ... ، ج3، ص 454.
45. ابن عذارى ، البيان ... ، ج1، ص 22.
46. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب...، ص203.
47. ابن عبد الحكم ، فتوح ...، ص 269-270.
48. مؤنس، فتح العرب...، ص 236.
49. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة...، 1999، ص238.
50. المالكي، رياض النفوس... ، ج1، ص49 - 50.
51. النويري، غاية الأرب...، ج24، ص19.
52. راضي دغفوس، عصر القيروان من بداية الاستقرار العربي بإفريقية إلى نهاية الدولة الأغلبية، تونس: مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، 2007، (سلسلة تونس عبر التاريخ)، ج 22، ص13.
53. ابن أبي دينار، المؤنس، ص47.
54. الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم، تاريخ إفريقية، تحقيق عبد الله علي الزيدان، عز الدين عمر وسي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، ص38.
55. نفس المصدر، نفس الصفحة.
56. ابن قتيبة الدنيوي، الإمامة والسياسة، علق عليه خير سعيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2000، ج1، ص280.
57. نفس المصدر، ج1، ص283.
58. ابن عبد الحكم، فتوح...، ص211.
59. دغفوس، عصر القيروان، ص14.
60. الرقيق القيرواني، تاريخ، ص59.
61. ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص287.
62. الرقيق، مصدر سابق، ص104.
63. ابن عذارى، البيان، ص152.
64. الرقيق، المصدر السابق. ص 204
65. نريمان عبد الكريم أحمد، فتح إفريقية في عصر الولاة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 200، ص108.
66. ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1981، ص30.

67. الرقيق القيرواني ، تاريخ ،....، ص133.
68. دغفوس، عصر القيروان ،....، ص23-24.
69. ابن الأبار، الحلة ،....، ج1، ص52.
70. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، حرره وعلق عليه محمد الهاشمي الفيلاي، الرباط: المطبعة الأهلية، 1936، ج1، ص71.
71. محمود إسماعيل، الأغالبة، سياستهم الخارجية، ط3، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص115.
72. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج1، ص72.
73. البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت)، ص123.
74. الباروني، سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في ذكر ملوك الإباضية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ج2، ص221.
75. جميلة بوشارب " صقلية في عهد الأغالبة في العهد الإسلامي " رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة ابن خلدون، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013-2014، ص28.
76. نفس المرجع، ص30.
77. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص125-126.
78. المالكي، رياض....، ج2، ص368.
79. الجوزري، أبو علي منصور العزيمي، سيرة الأستاذ جوذر، تقديم وتحقيق محمد كمال حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت)، ص110.
80. جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة واستخراج نصوص مصطفى أبو ضيف أحمد، الإسكندرية : منشأة المعارف، 1999، ص77-78.
81. أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، دمشق (د.ن) 1971، ص111.
82. ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم، صورة الأرض، لندن مطبعة بريل، 1936، ص108-117.
83. محمود إسماعيل، الأغالبة سياستهم....، ص225.
84. نفس المرجع، ص57.
85. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب...، ص523.
86. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص237.
87. المالكي، رياض النفوس...، ج2، ص444.